



مجلة الدراسات الإيرانية  
Journal for Iranian Studies

# مجلة الدراسات الإيرانية

دراسات وأبحاث علمية متخصصة

مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر باللغتين العربية والإنجليزية

---

السنة الثالثة – العدد العاشر – أكتوبر 2019

---

تصدر عن



**RASANAH**  
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية  
International Institute for Iranian Studies

# عوامل تراجع القوة الإيرانية الناعمة في المنطقة العربية

د. سعيد قاسمي

أستاذ العلاقات الدولية بكلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة الجزائر 3

وجدت إيران تعاطفًا كبيرًا لدى الشارع العربي غداة ثورة الخميني عام 1979، ووظفت ذلك من أجل توسيع دائرة تأثيرها على المستوى الشعبي في المنطقة العربية، لكن بفعل سياسات النظام الإيراني في المنطقة تأثرت صورة إيران، إذ كشفت سلوكيات النظام الإيراني عن طموح للتمدد على حساب جيرانها العرب، ظهر ذلك بدايةً من مرحلة الحرب مع العراق ووصولاً إلى تدخلها الواسع في المنطقة بعد أحداث الربيع العربي ولا سيَّما تدخلها في اليمن وسوريا، وهي التطورات التي أدت إلى تآكل "القوة الناعمة" لإيران، فلم يعد النموذج الإيراني هو النموذج الثوري الذي يريده العرب الاقتداء به، خاصة بعدما كشف عن صبغته العنصرية المتعالية، وذلك على الرغم من محاولات إيران توظيف موضوع القضية الفلسطينية لاستمالة الرأي العام العربي.

تطرح هذه الدراسة أسئلةً حول عوامل تراجع القوة الناعمة الإيرانية وتداعيات أحداث "الربيع العربي" على مكانة إيران في المنطقة العربية، ومؤشرات هذا التراجع وتداعيات ذلك فيما يتعلق بقدرة تأثير إيران في العالم العربي، وعلى الرغم من امتلاك إيران لمقومات القوة الناعمة واستفادتها منها لتحسين صورتها في العالم العربي ما أهلها للعب أدوار فاعلة في المنطقة العربية في فترة ما، غير أن محاولات التأثير من خلال عناصر هذه القوة بعد الربيع العربي، كانت لها تداعيات سلبية أدت إلى تآكل هذه القوة وعدم تأثير الخطاب الدعائي الإيراني، بل وقعت إيران في مواجهة مع قوى إقليمية أخرى مما أثر على علاقاتها وتأثيرها في بعض البلدان والمناطق وعلى المستوى الشعبي.

على هذا الأساس تفترض الدراسة ما يأتي:

- 1- إن الإفراط الإيراني في استخدام عناصر القوة الصلبة والناعمة في محاولة للتأثير في محيطها العربي كانت له نتائج سلبية على صورة إيران في الشارع العربي وبالتالي على مصالحها.
  - 2- كلما ازداد التورط للإيراني في القضايا الداخلية العربية، كلما أدى ذلك لتراجع زخم قوتها الناعمة.
- ويمكن معالجة إشكالية الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها من خلال العناصر الآتية:

### أولاً: مصادر القوة الإيرانية الناعمة

تتنوع المصادر التي تُشكّل عناصر القوة الناعمة للدولة الإيرانية، ومن أهمها ما يأتي:

#### 1- المكانة الحضارية والتاريخية

يلعب هذا البعد دوراً كبيراً في رسم ملامح السياسة الخارجية الإيرانية وممارسات القوة الناعمة الإيرانية تجاه ذلك الجوار، "فقد آمن الإيرانيون بالنظر لتاريخهم وعظمة حضارتهم، بوجود امتلاك بلدهم الريادة الإقليمية"<sup>(1)</sup>، هذا الإحساس الإيراني المتفرد بتفوق ثقافتهم وحضارتهم، وتحديدًا تجاه جوارهم العربي، والذي اقترن بإحساس دائم بعدم الأمان، قد لعب دوراً حاسماً في بناء الرؤية الإيرانية لذلك الجوار، فطالما تغذت الهوية الفارسية/الإيرانية على كراهية الآخر العربي في إطار تأكيد التفوق العرقي واللغوي والديني، فحاولت محو هذا الارتباط الذي لحق ببلاد فارس بعد الفتح الإسلامي، فلفغويا كانت الأولوية للفارسية على لغة القرآن العربية، وعرقياً حاولت إيران مد الصلة بالآرية لتأكيد التفوق العرقي<sup>(2)</sup>، ثم التميز الديني ممثلاً في التشيع الأثني عشري، بل خلق تمييز داخل التشيع نفسه، الذي تعود أصوله إلى العربية أساساً، بتغليب ولاية

الفقيه لتكتمل مسوغات التفوق اللغوي والعرقى والديني، يقول راي تقيه "يُعبّر حسّ الفوقية تجاه الجيران، من العرب الدهماء، والأتراك البسطاء عن جوهر الكوزمولوجيا الفارسية... وتقترن مشاعر الافتخار القومية الإيرانية، مع ذلك، بحسّ من انعدام الأمن نتيجة الغزو المتواصل من قبل القوى المعادية. اعترى الإيرانيون الكثير من الشك في نوايا جيرانهم ودوافعهم؛ بالنظر لما تعرضوا له من غزوات من قبل المغول... تركت تلك الغزوات القاسية وما أعقبها من فترات احتلال طويلة، أثرًا لا يُنسى لدى الإيرانيين، مما دفعهم إلى الشعور بالفوقية والشك في جيرانهم على حد سواء"<sup>(3)</sup>، وشكلت هذه المعطيات التاريخية خلفية النظرة الاستعلائية الإيرانية تجاه جيرانهم، والرغبة في جعلهم هدفًا لمحاولات التأثير الإيرانية.

وتدعم هذا الاحساس لدى الإيرانيين عقب ثورة الخميني، التي تضمنت مفاهيم جديدة متولدة من التقاليد الشيعة السياسية، بوصف قناعتهم لكونهم أقلية طائفية في مواجهة أغلبية سنية عربية، وهو ما يُضاف للمعطيات التاريخية التي شكلت صورة إيران عن ذاتها وعن الآخرين وصاغت سياساتها في سياق تلك الرؤية.

وبسبب إدراك صانع القرار الإيراني للتداعيات السلبية التي تولدها التدخلات الإيرانية الصلبة في المنطقة العربية-خاصة منذ ثورة الخميني- تجلت أهمية تبني مقاربات جديدة تركز على القوة الناعمة كوسيلة لتشكيل تفضيلات الآخرين من خلال التأثير في توجيه سلوكهم عن طريق الإغراء بدل الإرغام، وذلك في سياق محاولات تعويض أو موازنة دور القوة الصلبة في تحقيق المصالح الإيرانية في محيطها العربي بشكل خاص، الذي حاز على الأولوية في الخطة الإيرانية المعروفة باسم "الإستراتيجية الإيرانية العشرينية" (2005-2025)، أو الخطة الإيرانية العشرينية "إيران: 2025"، والتي وضعت "التصورات المستقبلية للدور الإيراني خلال عشرين عامًا، وتهدف إلى تحويل البلاد إلى نواة مركزية لهيمنة تعددية داخلية في منطقة جنوب غرب آسيا، والتي يُقصد بها المنطقة العربية بشكل عام إلى غاية سيناء"<sup>(4)</sup>.

## 2- المصادر الثقافية

تعدّ الثقافة (بكافة تفرعاتها ومستوياتها) حسب جوزيف ناي، مصدرًا مهمًا من مصادر توليد القوة الناعمة لأية دولة، وتمتلك إيران مخزونًا كبيرًا لتوليد القوة الناعمة من هذا المصدر من الثقافة واللغة الفارسية، والتقاليد الإيرانية والتشيع، ومن أدوات القوة الناعمة الإيرانية التمدد الثقافي لنشر اللغة الفارسية والفكر الشيعي من خلال عدة أدوات، منها: الصحف والمجلات والمعارض والندوات، ويُنفذ هذه السياسة الثقافية

الملحقيات والمستشاريات الثقافية للسفارات الإيرانية وعدد من المؤسسات الرسمية والشعبية الإيرانية كالمجمع العالمي لأهل البيت، ومنظمة التبليغ الإسلامية، التي سخرت كل ذلك تحقيقاً لهذا الهدف.

وبرغم الأهمية التي توليها إيران لترويج الثقافة الإيرانية واللغة الفارسية، فإننا لا نشهد إقبالاً على تعلم اللغة الإيرانية على سبيل المثال، كما لا نجد اهتماماً عربياً بالتقاليد الإيرانية، وبالتالي لم يبقَ لإيران غير مدخل نشر المذهب الشيعي في نطاق الدائرة السنية.

### 3- القيم السياسية الخاصة

تضم هذه القيم الديمقراطية، والانتخابات، وحقوق المرأة والمجتمع المدني وترى إيران أن ابتداعها لمفهوم "الديمقراطية الدينية" كنظام سياسي هجين، هو في حد ذاته نموذج فريد من نوعه يصلح أن يكون مصدرًا من مصادر القوة الناعمة الإيرانية لما يقدمه من جديد في هذا الموضوع، وكونه بديلاً عن النظم التقليدية المعروفة في العالم، يقول رئيس مجلس الشورى الإيراني علي لاريجاني: "إن إحدى أهم مآثر "الإمام الخميني"، تكمن في أنه قدّم نموذجاً "للمدقراطية الدينية" التي تستند إلى التصويت الشعبي ومقاومة الظالم بما يتماشى مع القيم الإسلامية"<sup>(5)</sup>. وتقدم إيران كذلك نفسها كدولة مستقرة وسط منطقة تسودها الصراعات وبوصفها الدولة الأكثر اعتدالاً في الشرق الأوسط والأكثر أمنًا بين دوله المختلفة، وبالتالي فهي نموذجاً فريداً جدير بأن يكون قدوة لجيرانه<sup>(6)</sup>.

### 4- مبادئ السياسة الخارجية

من شأن السياسة الخارجية لأية دولة أن تتحول لأحد المصادر المهمة لقوتها الناعمة "خاصة إذا كانت تحمل قيماً سامية أو أطروحات عالمية أو مبادرات تعزز العلاقات الثنائية والإقليمية والدولية"<sup>(7)</sup>، وتزداد أهمية كلما كانت نظرة الآخرين إليها أنها شرعية وذات أبعاد أخلاقية. وتعدّ السياسة الخارجية لإيران ذات أهمية قصوى كونها المصدر الأكبر من مصادر توليد القوة الناعمة للبلاد. ويتضمن الدستور الإيراني إشارة واضحة إلى السياسة الخارجية للبلاد ضمن الفصل الأول المخصص "للأصول العامة"؛ إذ يُشير البند 16 من المادة الثالثة من الفصل الأول من الدستور إلى هذا الموضوع بالقول: "تُنظّم السياسة الخارجية للبلاد على أساس المعايير الإسلامية والالتزامات الأخوية تجاه جميع المسلمين والحماية الكاملة لمستضعفي العالم. وتُشير المادة 152 إلى أن هدف السياسة الخارجية هو "الدفاع عن حقوق جميع المسلمين، وعدم الانحياز مقابل

القوى المتسلطة، وتبادل العلاقات السلمية مع الدول غير المحاربة“<sup>(8)</sup>، وهذا في حد ذاته يعدُّ مصدرًا من مصادر القوة الناعمة في السياسة الخارجية الإيرانية.

وإذا ما نظرنا إلى مفهوم القوة الناعمة حسب ما صاغه ناي بأنَّ ”يكون للدولة قوةً روحيةً ومعنويةً من خلال ما تجسده من أفكار ومبادئ وأخلاق“. فقد وظفت إيران ذلك في شعاراتها في السنوات الأولى من ثورتها وكان ذلك يتناغم مع تطلعات شعوب العالم الثالث، وبالتالي استطاعت تقديم مثالٍ حيٍّ على مدى قدرتها بتحدي الدول الكبرى سواء الشرقية أو الغربية لتقدم نموذجها الوطنيَّ وفقًا لما تقتضيه مصالحها الوطنية، وما زاد من زخم تلك السياسة في جوارها العربي هو تبنيها الدفاع عن القضية الفلسطينية كقضية مركزية.

### ثانياً: توظيف القوة الإيرانية الناعمة تجاه العالم العربي

تنوعت القنوات التي تمت من خلالها ممارسة وتوجيه القوة الناعمة لإيران، بوصف أية قوة ناعمة إنما تحتاج إلى تحديد اتجاه المنطقة أو الجهة المستهدفة في سياق منظم بما يخدم الأهداف القومية العليا، وذلك قبل أن تضع القيادة الإيرانية ”الخطة الإيرانية العشرينية“ / “إيران: 2025“، كوثيقة مرجعية لتحديد موقع ومكانة إيران في محيطها الإقليمي التي وصفها خامنئي بأنها أهم وثيقة بعد الدستور الإيراني<sup>(9)</sup>. لتؤكد على مجموعة من العوامل التي تجعل من إيران نموذجاً ملهماً ومؤثراً في محيطها العربي والإسلامي، وذلك عبر مجموعة من الأدوات الثقافية والسياسية، يمكن تفصيل كل منهما على النحو الآتي:

#### 1- الأدوات الثقافية.. ترويج النموذج وتصديره

من أهم الأدوات الثقافية التي تستخدمها إيران لتوجيه قوتها الناعمة في المنطقة ما يأتي:

أ- البعثات الطلابية: يُشكل الطلاب والجامعات قاعدةً رئيسةً في الفكر الخميني، فطلاب الحوزة والجامعات كانوا وقود الثورة الإسلامية ضد إمبراطورية الشاه رضا بهلوي، واكتسب الشباب أهميةً خاصةً في خلق حالة القبول والتماهي مع مصالح إيران لاحقاً، ومِن ثَمَّ فقد استهدف النظام هذه الفئة التي ستتحول مع الوقت إلى نخب ذات ولاءات لإيران وتُشكل طابوراً خامساً يعمل لصالح إيران في بلدانها، ويمكن أن نجد العينة في العديد من الحالات، فنجد مثلاً أن 7 آلاف طالب يماني يتلقون تعليمهم في مدينة قم الإيرانية، حيث «دأبت إيران، على تقديم عددٍ من البعثات العلمية لعدد من

الطلبة اليمينيين الذين ينتمون إلى جماعة أنصار الله «الحوثيين» على حساب السفارة الإيرانية للدراسة في الحوزات العلمية في طهران لمدة 4 سنوات لدراسة العقائد الاثني عشرية»<sup>(10)</sup>، وهي نفس السياسة التي تمارسها إيران تجاه الطلبة المصريين، في سياق محاولات الاستقطاب عبر تقديم إجراءات دراسية للطلبة حيث وافقت جامعة طهران في سبتمبر 2013 -على سبيل المثال- على قبول الطلاب المصريين الحاصلين على الثانوية العامة المصرية بمجاميع منخفضة، إذ قبلت الجامعة في تلك السنة أول دفعة من الحاصلين على الثانوية شعبة «العلمي علوم» في كليات «الطب البشري» بنسبة 75% و«طب الأسنان» و«الصيدلة» بنسبة 70%، في حين أن مثل هذه المجاميع لم تكن تؤهل أصحابها في تلك السنة الدراسية للالتحاق بكليات أدنى في سلم الدراسة الجامعية<sup>(11)</sup>، كما نجد أن إيران تقدم سنوياً عدداً مهماً من المنح الدراسية للطلبة السوريين حيث تقدم سنوياً أكثر من 100 منحة دراسية على مدى سنوات، وقدمت مثلاً 100 منحة خلال سنة 2016، وتعدت 500 منحة في مختلف التخصصات في عام 2019<sup>(12)</sup>.

ب- تأسيس فروع للجامعات الإيرانية في الخارج: سهرت إيران على افتتاح فروع لجامعات إيرانية في عدد من الدول العربية منها فروع لجامعة آزاد في عدة مدن سورية وعراقية بالإضافة لتوسيع فروعها في لبنان<sup>(13)</sup>، وفروع لجامعة طهران والجامعة الإسلامية الحرة، وهي أول جامعة إيرانية في دبي وتم افتتاحها في عام 2004، وجامعة شيراز، وجامعة شهيد بهشتي وجامعة پیام نور وأخيراً كلية علوم الحديث في الإمارات العربية المتحدة، وهناك فروع لجامعات إيرانية في أكثر من عشر دول عربية<sup>(14)</sup>؛ لأهمية هذا العنصر في توسيع دائرة النفوذ الإيراني في المنطقة العربية.

إن النظام في إيران يستخدم منظمات تعليمية وثقافية وخيرية في الخارج؛ هدفها دعم إستراتيجيات القوة الصلبة، فقد أعلن علي أكبر ولايتي عن قبول الرئيس السوري في يناير 2018 افتتاح فروع للجامعة في عدد من المدن السورية، كما أعلن عن موافقة المجلس الإسلامي الأعلى في العراق عن افتتاح فروع لتلك الجامعة في عدة مدن عراقية، مثل: بغداد والنجف وكربلاء والبصرة وأربيل، وهي نفس الإستراتيجية التي أعلن عنها بشأن توسيع تواجد الجامعات الإيرانية في لبنان<sup>(15)</sup>. ويُعدّ توسيع فروع الجامعة الإيرانية في الخارج جزءاً من إستراتيجية إيران الناعمة، الهادفة إلى تعزيز أيديولوجيتها وسياستها التوسعية في جميع أرجاء المشرق العربي وسيطرتها على مجتمعاته ومأسسة تواجدها الثقافي، وخلق نخبة تتبنى شعارات الثورة وعلى رأسها نشر المذهب الشيعي الاثني عشري.

ومن خلال توسيع تواجد جامعاتها فإن إيران "تعمل على تطوير مشروع متكامل

لتعزيز نفوذها سياسياً وعسكرياً وثقافياً في المنطقة، بدأ في لبنان وانتقل إلى سوريا والعراق ومِنَ ثَمَّ اليمن، وقد ينتقل مستقبلاً إلى دول أخرى<sup>(16)</sup>. وتأمل طهران من خلال نشر الثقافة الإيرانية واللغة الفارسية من خلال فروع جامعاتها في جعل أسواق سوريا ولبنان والعراق واليمن جاهزة لاستيعاب السلع الإيرانية سواء أكانت منتجاً ثقافياً أو منتجاً سياسياً أو دينياً أو مذهبياً.

ج- وسائل الإعلام والقنوات التلفزيونية: لا تتفصل مهمة شبكة من القنوات التلفزيونية التي حرصت إيران على إنشائها عن مهمة الترويج لمفاهيم تصدير الثورة وتشجيع التشيع لدى المجتمعات العربية، وفي سياق ذلك تمتلك إيران إمبراطورية إعلامية هي الأكبر على مستوى المنطقة وواحدة من أكبر الإمبراطوريات الإعلامية في منطقة آسيا-الهادئ والعالم. وتسيطر وكالة بث الجمهورية الإسلامية الإيرانية (IRIB) -وهي مؤسسة حكومية يشرف عليها شخصياً المرشد الأعلى علي خامنئي- على السياسات الإعلامية الخاصة بجميع المحطات التلفزيونية وإذاعات الراديو في البلاد بما يتناسب مع توجهات الدولة<sup>(17)</sup>. وتعمل هذه الشبكة على الترويج لشعارات الثورة، ونجد من أهم القنوات الموجهة للمنطقة العربية قناتي «المنار» و«لعالم» اللتان توجهان برامجهما الإخبارية للرأي العام العربي بشكل مركز.

د- نشر التشيع: تستخدم إيران التشيع في إطار علاقاتها الخارجية على نطاق واسع وهو عنصر مهم لتوليد القوة الناعمة على مستوى الحاضنة الشيعية الموالية للولي الفقيه في الحد الأدنى بما يخدم المشروع الإيراني في المنطقة. وتكمن أهمية نشر التشيع أنه ليس تشيعاً مذهبياً عقائدياً فقط بل له بعدٌ سياسي؛ لأن السياسة والدين متمثلان في الولي الفقيه المرشد الأعلى، وبسبب القوة الناعمة التي يمثلها للمتشييعين، الذين سيصبح ولاؤهم لإيران آلياً لطبيعة ارتباط الدين بالسياسي بشكل وثيق، ذلك أن الولي الفقيه هو قائدٌ سياسيٌّ ومرجعٌ دينيٌّ.

إنَّ التشيع السياسي يُصنّف كأحد أدوات القوى الناعمة، والذي تعكف من خلاله إيران على مواصلة تصدير الفكر الثوري الإسلامي وفقاً لنظرية «أم القرى» أو «ولاية الفقيه» التي تُعدُّ المرتكز الرئيس للاستراتيجية الإيرانية خارجياً بشكل عام. فضلاً عن توظيفها لكافة المناسبات والمحافل للترويج لمزاعمها بأنها النظام الأمثل الذي يتمتع بالاعتدال كأفضل شكلٍ لنُظُم الحكم في العالم الإسلامي<sup>(18)</sup>.

ويرى الباحث الإيراني كيهان برزجار أن استخدام التشيع في السياسة الخارجية قديم، لكنه أصبح أكثر فاعلية بعد أزمة العراق عام 2003، إذ دخل التشيع في إنتاج السلطة والسياسة في الشرق الأوسط؛ مما أدى إلى تقوية دور ونفوذ إيران، فحوّل



العراق إلى دولة صديقة ومتحالفة مع إيران، وأعطى التشيع الحضور الفعال والمصيري لإيران في قضايا العراق ولبنان، والشرق الأدنى بشكل عام على حد قوله (19). وإذا كان فتح فروع الجامعات الإيرانية في الدول العربية بالمشرق قد اندرج ضمن مشروع توسيع دائرة التشيع فإن التشيع بدول المغرب العربي شهد تصاعداً عقب حرب حزب الله ضد إسرائيل في 2006، بعد تراجع مؤشراته ما بعد حرب العراق في 2003 التي كشفت الوجه الطائفي للتشيع الإيراني، حيث شهدت موجة التشيع تصاعداً، وعلى سبيل المثال كشفت تقارير عن مخطط إيراني بدعم من حزب الله اللبناني، وإيران للتمدد في تونس بعد 2011، "وأكد القيادي في حركة النهضة الحبيب اللوز أن "التمويل الأجنبي للطائفية ثابت، والتمويل الإيراني للمجموعات الشيعية واضح بقصد نشر مذهبهم، وبحسب العديد من المتابعين والمراقبين التونسيين فإن إيران في أعقاب الثورة التونسية عام 2011 صعّدت من نشاطها لنشر التشيع وأنّ المركز الثقافي الإيراني في تونس هو المسؤول عن تمويل وتنظيم هذا المدّ حيث توجد بعض الجمعيات والأحزاب والصّحف الشيعية المندسّة في المجتمع المدني على غرار الرابطة التونسية للتسامح وحزب الوحدة وجريدة الصّحوة (20).

أصبح المد الشيعي في الجزائر يتصاعد بشكل لافت للنظر، في مشروع متكامل من جانب دولة إيران في نقل التشيع إلى أقصى البقاع، ضمن خطة تصدير الثورة التي انطلقت بعد نجاح الثورة الإيرانية، وأصبحت الجزائر في مرمى المخاوف من انتشار المذهب الشيعي الاثني عشري، المدعوم من إيران (21)؛ وقد أدى ذلك لخروج شيعة الجزائر لأول مرة إلى العلن للقيام بطقوس عاشوراء في عددٍ من المدن الجزائرية، وصدور تصريحاتٍ من الزعيم الشيعي مقتدى الصدر تدعو لاحترام الحرية الدينية لشيعية الجزائر، ودعوته إياهم إلى عدم الخضوع، وهي مؤشرات على اتساع الظاهرة في المجتمع الجزائري.

وجاء إعلان المغرب قطع العلاقات مع إيران في 2009 لرفضها "نشاطات ثابتة لسلطات الإيرانية، وبخاصة من طرف البعثة الدبلوماسية بالرباط، التي تستهدف الإساءة للمقومات الدينية الجوهرية للمملكة، والمسّ بالهوية الراسخة للشعب المغربي ووحدة عقيدته ومذهبه السني المالكي"، من خلال "الأنشطة الداعمة للتشيع التي تورطت في تنفيذها السفارة الإيرانية في المغرب" (22). وهو ما يؤشر لخطورة الظاهرة التي استفحلت في المجتمع المغربي، بانتشار التشيع في عددٍ من المدن المغربية وعلى رأسها مدينة الحسيمة.

ما انفكت العلاقات المغربية الإيرانية تعرف حالات من المد والجزر نتيجة سعي النظام

الإيراني إلى التدخل في الشؤون الداخلية للمملكة، وفي مارس 2019 اتهمت السلطات المغربية، إيران والمد الشيوعي بتهديد الأمن والاستقرار بالمغرب بعد استقطاب آلاف المغاربة وإثارة الاحتجاجات في مناطق مغربية مختلفة خاصة في منطقة الحسيمة، شمال البلاد، التي عرفت منذ بضعة أشهر موجات من الاحتجاجات الاجتماعية. وقد سخرت إيران مجموعةً من المؤسَّسات من أجل الترويج للمذهب الشيعي، كآلية للسيطرة وجعل إيران مصدر إلهام الشعوب العربية؛ بسبب الارتباط بين التشيع والولاء للولي الفقيه في إيران، ومن تلك المؤسَّسات: المجمع العالمي لأهل البيت، منظمة التبليغ الإسلامية، مَجْمَع التقريب بين المذاهب، ممثلات المرشد الأعلى في الخارج، الحوزات العلمية في الخارج، مؤسَّسة الإمام الخميني الإغاثية. جسدت الحالة الإيرانية نموذجاً مهماً لدور القوة الناعمة على مستوى الإقليم، فقد عملت إيران بفعالية، وقد قامت المراكز الثقافية الإيرانية كنقطة ارتكاز مباشرة في نشر التشيع بجانب الدبلوماسية الشعبية ولا سيما على مستوى الثقافة، خاصة مع انسداد مجالات التواصل السياسيِّ الفاعل خلال حقبة الحصار والعزل الطويلة التي أعقبت الثورة الإيرانية“<sup>(23)</sup>.

## 2- توظيف القضايا القومية والدينية على المستوى العربي

وظفت إيران مجموعةً من القضايا في سياستها الخارجية لتعزيز قوتها الناعمة، ومن أهم تلك القضايا:

أ- القضية الفلسطينية: شكلت القضية الفلسطينية واحدةً من أهم الأدوات التي استخدمتها إيران لدعم قوتها الناعمة، وكانت مدخلاً مهماً لها للتقرب من الجماهير العربية وتقديم نفسها كمدافع عن المقدسات الإسلامية ومستضعفي فلسطين، وتوظف إيران تعاطيها مع القضية الفلسطينية وعلاقتها الخاصة مع حركة المقاومة الإسلامية ”حماس“؛ إذ يتباهى علي شمخاني رئيس جهاز الأمن القومي الإيراني أنه ”فيما تلتزم الدول السنية جانب الصمت فيما يتعلق بالجرائم اللاإنسانية التي يرتكبها العدو الصهيوني يأتي الشطر الأعظم من الدعم للشعب الفلسطيني المظلوم من شيعة إيران“<sup>(24)</sup>.

وقد شكلت القضية الفلسطينية أفضل مكسبٍ قدمه العرب لتلميع صورة إيران ولا سيما بعد التقارب بين عددٍ من الحكومات العربية وإسرائيل، فقدمت نفسها بوصفها المدافع الوحيد عن قضية المسلمين المركزية وقضاياهم الأخرى، فمن خلال دعمها للفلسطينيين استطاعت كسب جمهور عربي كبير، تنفيذاً لما قاله الخميني في 1979 أنه ”لا قيمة لكل سياساتنا إذا لم يكن لنا يدٌ في القضية الفلسطينية“<sup>(25)</sup>، ما خلق

بيئة مناسبة لتقبل الدور الإيراني، وأسهم في قبول التشيع ومنه قبول الدور الإيراني في المنطقة حسب ما أكدته التجارب العديدة في العراق وسوريا واليمن<sup>(26)</sup>.

ب- **الخطاب المناهض للغرب:** استطاعت إيران من خلال الخطاب العدائي للولايات المتحدة أنْ تكسب تأييد قطاعات واسعة من الرأي العام العربي لصالحها، مستغلةً مشاعر الغضب الشعبي على المستوى العربي تجاه الولايات المتحدة والغرب عمومًا، وذلك في إطار سعيها لتعزيز قوتها الناعمة في المنطقة. وبالتالي "فالبعد الثوري كان ولا يزال يمثل ركيزةً أساسيةً في الخطاب السياسي الإيراني، إذ استطاعت إيران من خلال هذا الخطاب أنْ تكسب تأييد قطاعات واسعة من الرأي العام لسياساتها ولاسيما على الصعيد الإقليمي. كما هدفت إيران ومن خلال خطاب دعم القضية الفلسطينية إلى تخطي حزام من شملتهم في العنصرين السابقين، وكسب قطاعات واسعة لدى الرأي العام لصالحها"<sup>(27)</sup>، واستقطاب الشارع لخلق بيئة مناسبة لتقبل الدور الإيراني الإقليمي عبر هذا الباب.

### ثالثًا: العوامل المؤثرة على تراجع القوة الناعمة الإيرانية بعد عام 2011

تضافرت مجموعة من العوامل أثرت على تراجع القوة الناعمة، وهي ما يأتي:

#### 1- الدور الإيراني في العراق

في الوقت الذي كانت فيه "الخطة العشرينية" تتوقع تحوُّل إيران إلى مصدر إلهام لمحيطها العربي والإسلامي، غير أنَّ العناصر التي تم تبنيها كمدخل لزيادة فعالية القوة الناعمة كانت ذات تأثيرات عكسية، ولا سيما بعد تعاظم إيران مع محيطها العربي بعد ثورات الربيع التي اندلعت بدايةً من عام 2011.

فقد سبق وأن وصلت القوة الناعمة الإيرانية إلى ذروتها في العالم العربي بحلول العام 2006 -بمناسبة حرب جنوب لبنان التي قادها حزب الله ضد إسرائيل- لكن بدأت تتراجع مع الاحتلال الأمريكي للعراق في 2003، وما رافقه من سيطرة إيران على مفاصل السلطة في بغداد وتكريسها لظاهرة الطائفية كقاعدة للممارسة السياسية التي أقصت بموجبها المكون السني، وهو ما كشف لشرائح واسعة من الجماهير العربية عن النزعة الاستعمارية لإيران وعنصريتها الطائفية تجاه المكون السني، مثلما تمارس تلك العنصرية تجاه المكون العربي في إقليم الأحواز، وكشفت نتائج استطلاعات الرأي في العالم العربي عن أنَّ السياسة التي انتهجتها إيران تجاه ثورات الربيع العربي تركت تأثيراً سلبياً على صورتها لدى النخبة العربية<sup>(28)</sup>.

أظهر سلوك إيران في العراق وما رافقه من تدخل سافر في شؤونه الداخلية، أنَّ إيران ليست إلا قوة استعمارية، لا تتوانى عن استخدام كل طاقاتها في تدمير هذا البلد بما ينسجم مع مصالحها، ”إذ وبعد انهيار مؤسَّسات الدولة العسكرية عقب التدخل الأمريكي، سارعت إيران لخلق مليشيات عسكرية على أُسس طائفية وعقائدية، أسهمت بدورها في الدفع بالموالين لها إلى سدة الحكم في بغداد في مهمة نجحت فيها تماما“<sup>(29)</sup>، وهو نفس السيناريو الذي طبقته بصور أخرى خلال تدخلها في اليمن وسوريا، بوصفها نماذج لتكريس مشروع الهيمنة الإقليمية.

## 2- الدور الإيراني في سوريا واليمن

مع ثورات الربيع العربي وتحديداً في سوريا اتضح أنَّ التدخل الإيراني كان له أبعداً طائفية هدفها بسط السيطرة الإيرانية على المنطقة ضمن ما سُمي بالهلال الشيعي، عبر تكريس البعد الطائفي للصراع في سوريا، بحيث «ظهرت بصمات القائد في الحرس الثوري قاسم سليمانى وفيلقه بوضوح في سوريا عام 2012 بمعركة القصير، حين أدار الحرب إلى جانب النظام و ضد المعارضة مستعيناً بحزب الله اللبناني ومليشيات شيعية أخرى، لتصبح هذه المعركة النقطة المفصلية لإذكاء البعد الطائفي في الحرب السورية»<sup>(30)</sup>.

إنَّ العمل الذي قامت به إيران لتكريس البعد الطائفي للصراع سواء في سوريا أو اليمن كمحاولة لاستتساح التجربة العراقية، قد وُلد حالة من الرفض العام على مستوى الشارع العربي للسياسات الإيرانية الساعية لخلق أقطاب مذهبية في تلك المجتمعات، إدراكاً منها للخطورة التي تشكلها تلك الجيوب الطائفية التي تحاول إيران زرعها، وأفقدها المصداقية التي استمرت طيلة عقود منذ الثورة الإيرانية. من جهة أخرى، فإنَّ التدخل الإيراني في النزاع اليمن-مثل سوريا- قد خلق حالة استنكار عامة في الأوساط العربية، بالنظر لمسؤوليتها في إذكاء نار الحرب بين اليمنيين، وخلق حالة عدم استقرار مستدامة في هذا البلد.

## 3- التعاطي الانتقائي مع ثورات الربيع العربي

أدت ثورات الربيع العربي إلى انهيار مصداقية خطاب السياسة الخارجية الإيرانية، فأيران التي نظرت لما حصل في مصر وتونس وليبيا وما تبعه من صعود التيارات الإسلامية على أنه امتداد للثورة الإسلامية في إيران أو للصحوة الإسلامية<sup>(31)</sup>، وقعت في تناقض صارخ لما رمت بكل ثقلها لدعم نظام الأسد في سوريا ضد ثورة الشعب السوري، وبعده دعم الحوثيون المتمردون على الشرعية في اليمن، وكان لهذا التوجه

آثاره السلبية على القوة الناعمة الإيرانية، خاصة وأن تورط إيران في تلك النزاعات ضرب عمق أسس سياستها الخارجية المتضمنة في الدستور الإيراني.

ومن ثمّ فالتدخلات الإيرانية في سوريا واليمن بوصفه ممارسة للقوة الصلبة لم يكن فقط سبباً في بداية بروز مؤشرات تراجع القوة الناعمة، بل هو تأكيدٌ لتراجع وفشل القوة الناعمة الإيرانية، وفشل للخطة العشرينية في تحقيق الأهداف التي سطرته تلك الوثيقة التي تم إطلاقها بعدما سلّم الأمريكيون العراق للإيرانيين؛ بغرض جعل إيران مصدر إلهام لمحيطها العربي على وجه التحديد.

#### 4- محاولة اختراق المجتمعات العربية

من العوامل المهمة التي أثرت على القوة الناعمة الإيرانية انكشاف نوايا إيران في خلق جيوبٍ شيعيةٍ في المجتمعات السنية العربية بما ينطوي على ذلك من أخطار على الأمن الديني والوحدة المذهبية لتلك المجتمعات، وحاولت إيران استغلال الظروف التي عاشتها العديد من الدول العربية منذ 2010، لتفعيل مضامين "الخطة العشرينية" عبر التمادي في نشر نشاط المذهب الشيعي بشكلٍ سافرٍ مما ولد ردود فعل رسمية وشعبية مناهضة لهذه السياسة بسبب ما أظهره تورط إيران في سوريا من نوايا عدوانية وقبلها التورط الإيراني في تدمير الحياة السياسية في العراق، أن إيران تأتي على قمة هرم الدول التي يعتقدون أنها تتبع سياسة طائفية إلى جانب كل من العراق وسوريا، وهو ما يعني فشلاً إيرانياً في استخدام هذا العنصر لصالحها<sup>(32)</sup>.

#### 5- تسييس التشيع

يبدو أن البعد المذهبي لم يعد مصدر إلهام أو مصدر توليد القوة الناعمة الإيرانية، وقد يلعب في كثير من الأحيان دوراً سلبياً في تعميق عزلة إيران الإقليمية خاصة عندما تعمد إلى الاعتماد على العامل الطائفي لحشد الأقليات الشيعية في المنطقة وتعجز عن برهان أنها لا تتعامل بسياسات طائفية في كثير من المحطات، وهو الأمر الذي يؤدي إلى رد فعل آلي يرفض الأطروحات الإيرانية أو المشروع الإيراني في المنطقة العربية<sup>(33)</sup>.

وتكشّف العمليات الساعية لمحاصرة نشاط التشيع في العديد من الأقطار العربية، عن إدراك للمخاطر التي صار يشكلها هذا النشاط على وحدتها المذهبية؛ بسبب النزعة الطائفية التي تروج لها إيران وتضعها كمرجعية لنشاطها الخارجي، وهذا ما يؤكده تقرير مطول لمركز كارنيجي يرصد الطائفية في السياسة الإيرانية إذ يلاحظ أن السلوك الإقليمي الإيراني منذ الربيع العربي قد نحى منحى أكثر طائفية، ويلحظ التقرير أن

الحرس الثوري بات ينظر إلى نفسه وإلى ساحة المعركة السياسية الإقليمية ككل من منظور طائفي، وبيانات مسؤولي الحرس الثوري وسلوكهم يشهدان على مثل هذا التحول وأنَّ أجندة الحرس في الشرق الأوسط باتت تحت سطوة النوازع الطائفية، ويستشهد التقرير بعدة أمثلة، منها ما أكده قاسم سليمان الذي يشير إلى العراق كنموذج "تمكن فيه الشيعة من حصد حق الحكم" للدلالة على مدى النفوذ الإيراني<sup>(34)</sup>، وهو النموذج الذي تسعى إيران لإعادة استتساخه في العديد من البلدان العربية مثل اليمن ولبنان وسوريا، وتعمل على التحضير له في الدول العربية الأخرى مثل دول المغرب العربي على وجه التحديد عبر دعم التشيع، الذي تهدف من ورائه لخلق جيوب وأقليات شيعية ذات ولاء لإيران لن تتوانى في تحويلها إلى وسائل ابتزاز لأنظمة المنطقة.

#### رابعاً: مؤشرات تراجع القوة الإيرانية الناعمة

يمكن رصد مجموعة من المؤشرات اعتماداً على وسائل ممارسة تلك القوة في المحيط الإقليمي لإيران وهي كالآتي:

##### 1- تراجع صورة إيران لدى الرأي العام العربي

تُشير الإحصائيات التي أجريت خلال عام 2009 إلى تراجع عدد الكتاب المؤيدين لإيران، فمن مجموع 138 مقالة تناولت الانتخابات الإيرانية التي جرت عام 2009 كانت هناك 8 مقالات مؤيدة لإيران (5,79%) و59 مقالة معارضة (42,75%)، فيما كانت 71 مقالة محايدة (51,44%)<sup>(35)</sup>.

وفي محاولة للإجابة على أسئلة متعلقة بنظرة العالم العربي تجاه إيران وبرنامجه النووي، أجرى مركز زغبى للخدمات البحثية استطلاعاً للرأي في ست دول عربية، وأظهرت النتائج قلق العالم العربي بصورة متزايدة من سياسات إيران وطموحاتها النووية، وافتقاده الثقة في نتيجة العملية التفاوضية التي تقوم بها مجموعة (5+1)<sup>(36)</sup>. وفي إحصائيات عام 2008، كانت معدلات تأييد إيران مرتفعة إذ تراوحت بين 70 و80% في كثير من الدول العربية، وبحلول 2011، تراجعت هذه المواقف بأكثر من 60 إلى 70 نقطة في معظم الدول<sup>(37)</sup>. بحيث لعبت السياسة الطائفية الإيرانية دوراً مهماً في تراجع التأييد، ولم تعد إيران في عيون كثير من العرب، معقل المقاومة القائمة على المبادئ، بل أصبحت النظرة إليها أنها جار ذو أجنداث خطيرة ومخادعة. "فقد أظهرت الاستطلاعات التي أجريت في 2014 بخصوص ما إذا كانت "إيران تسهم في استقرار المنطقة"، كانت إجابات بين 74 و88% من الأردنيين والمصريين والسعوديين والإماراتيين

و57% من العراقيين سلبية، تجاه إيران، وعُدَّت إيران مُوجِّبًا للصراع الطائفي في الدول العربية، وقد كان دور طهران في دعم حكومة الأسد في سوريا نقطةً فارقةً في تغيير مكانة إيران لدى الرأي العام العربي<sup>(38)</sup>.

بالإضافة إلى ذلك، تُظهر البحوث الإحصائية أنَّ معظم الجماهير العربية تدعم وجهات نظر حكوماتها السلبية للغاية تجاه السياسات الإيرانية، فيما "أظهر مسح تجاريّ موثوقٌ أُجريَ في أكتوبر 2014 أنَّ نسبة 13% فقط من المشاركين ينظرون إلى إيران بإيجابية إلى حد ما"<sup>(39)</sup>.

ومن أهم مؤشرات تراجع صورة إيران في بعض الدول العربية، اقتحام مئات المتظاهرين مقر القنصلية الإيرانية في محافظة البصرة الجنوبية وإحراقها، وإنزالهم العلم الإيراني، ورفع العلم العراقي، وسط هتافات ضد إيران، وضد دورها في العراق، وذلك في إطار الاحتجاجات الشعبية التي شهدتها المحافظة على خلفية تردّي الأوضاع الاقتصادية<sup>(40)</sup>، كما هاجم المتظاهرون بعض مقرات الحشد الشعبي.

وتعطي نتائج الانتخابات التشريعية التي جرت في العراق مؤشراً على تراجع شعبية الأطراف المحسوبة على إيران، إذ حصل تحالف "سائرون" العابر للطائفية على أغلبية المقاعد البرلمانية في الانتخابات التشريعية في 2018<sup>(41)</sup>، ناهيك عن الاحتجاجات الشعبية التي اندلعت في العراق ولبنان منذ أكتوبر 2019، وكان ضمن مطالب المحتجين عدم تدخل إيران في الشؤون الداخلية للبلدين، والأهم أنَّ هذه الاحتجاجات شاركت فيها الطوائف الشيعية في تأكيدٍ على مدى تراجع صورة إيران بين الشيعة في المنطقة بالتحديد.

## 2- فقدان سياسة إيران الإقليمية للمصداقية

تكشَّف العديد من الدلائل أنَّ الزخم الذي ميز النموذج الإيراني عقب ثورة الخميني في 1979 قد بدأ يشهد تراجع جاذبيته ومصداقيته خاصة على مستوى السياسة الخارجية الإيرانية، ذلك أنَّ السياسة الخارجية لأيه دولة ستكون أداة من أدوات القوة الناعمة عندما ينظر إليها الآخرون "أنها شرعية وأنَّ لها سلطة معنوية أخلاقية"، وبالتطبيق على الحالة الإيرانية نلاحظ أنَّ سياستها الخارجية فقدت الكثير من جاذبيتها ومصداقيتها وشرعيتها في العديد من القضايا المتعلقة بجوارها العربي، فأيران التي يضمن دستورها التزاماً بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير، تورطت في العديد من القضايا الداخلية بدايةً من لبنان ثم العراق وسوريا والبحرين واليمن.

أكدت استطلاعات الرأي ذلك بحيث يعارض 56% من العينة المستجوبة من النخبة

العربية مقولة: إنَّ إيران ما زالت تحافظ على القيم الأولى للثورة، وقال 92% إنهم يعتقدون أنَّ إيران لا تمثل نموذجاً يُحتذى في الحكم، وأكد 66% أنها بلدٌ غير ديمقراطيٍّ. وأنَّ 59% من المشاركين يؤيدون إنشاء قوات عسكرية عربية مشتركة لردع إيران عن التدخل في المنطقة<sup>(42)</sup>، بما يعني أنَّ السياسةَ الخارجيةَ الإيرانيةَ لم تُعدَّ أداةً لتوليد القوة الناعمة، بل إنَّ تلك السياسة فشلت في الترويج للنموذج الإيراني في جوارها العربي، ونجحت إلى حد بعيد في خلق حالة من العداء في ذلك الجوار، ذلك أنَّ إيران التي تبنت خطاباً يدعو لنصرة المستضعفين، صارت دولة متدخلة ومصدر معاناة الكثير من الشعوب المستضعفة، ومصدر لآلامها ومعاناتها من خلال سياساتها التدخلية واعتمادها سياسة ذات أبعاد طائفية مثلما كان الحال في العراق وسوريا واليمن.

وتضمَّن بيان القمة العربية المنعقدة في مكة المكرمة في مايو (2019)<sup>(43)</sup>، «تأكيداً على تضامن وتكاتف الدول العربية في وجه التدخلات الإيرانية... ومندداً بالتدخل الإيراني في الأزمة السورية وتأثيرها على وحدة سوريا... وأدان البيان الأعمال التي قامت بها الميليشيات الحوثية الإرهابية المدعومة من إيران، وما قامت به من أعمال تخريبية طالت السفن التجارية في المياه الإقليمية لدولة الإمارات العربية المتحدة. بالإضافة إلى ذلك جاء التأكيد على أنَّ «الدول العربية تسعى إلى استعادة الاستقرار الأمني في المنطقة وأنَّ السبيل الحقيقي والوحيد لذلك إنما يتمثل في احترام جميع الدول في المنطقة لمبادئ حسن الجوار والامتناع عن استخدام القوة أو التلويح بها والتدخل في الشؤون الداخلية للدول وانتهاك سيادتها، وأنَّ سلوك الجمهورية الإسلامية الإيرانية في المنطقة ينافي تلك المبادئ ويقوّض مقتضيات الثقة وبالتالي يهدد الأمن والاستقرار في الأقليم تهديداً مباشراً وخطيراً مع التأكيد على أنَّ علاقات التعاون مع الدول العربية والجمهورية الإسلامية الإيرانية يجب أن تقوم على مبدأ حسن الجوار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول واحترام سيادتها...»<sup>(44)</sup>، ويكفي مضمون هذا البيان للتأكيد على النظرة السلبية التي تتقاسمها أغلب الدول العربية تجاه إيران ورفض سياستها التدخلية في الجوار العربي، وهو ما يؤكد فقدانها لشرعيتها ولسلطتها المعنوية.

### 3- تنامي سياسات مواجهة تغلغل إيران في العالم العربي

لقد أدت الهجمة الإيرانية لنشر المذهب الشيعي لإثارة حالة من الامتعاض العربي سواء رسمياً أو شعبياً، وخاصة منذ بداية ما سُمي بثورات الربيع العربي، وشكلت الحملة التي عرفتها العديد من الدول العربية خاصة في المغرب العربي لمواجهة المد الشيعي، مؤشراً مهماً على التراجع الذي تشهده القوة الناعمة الإيرانية في المنطقة العربية،



وخاصة في هذه المنطقة التي لم تكن يوماً معنيةً بالصراعات الطائفية التي تعرفها مجتمعات المشرق العربي.

وكثيراً ما تحول تصدير المذهب الشيعي نحو المجتمعات العربية السنية نقطةً خلافيةً كبرى بين إيران والدول العربية بما فيها تلك التي ظلت تُصنّف كدول حليفةٍ على غرار الجزائر، ومِنَ ثَمَّ أصبحت واحدةً من أدوات القوة الناعمة الإيرانية لكنها مصدر رفضٍ (رسمياً وشعبياً)، بالرغم من حالات التشيع التي تعرفها المجتمعات العربية.

وإذا كانت السنوات الأولى بعد بداية الربيع العربي قد أربكت المسؤولين في البلدان العربية، وشغلتهم عن الالتفات للهجمة الإيرانية، فإنَّ الاستفاقة قد جاءت لاحقاً، وتمثلت في حملة على مستوى عددٍ من الدول العربية لمحاصرة المد الشيعي، وتُبرز العديد من المؤشرات الرفض العام لما تقوم به إيران من أعمال تبشيرية، بحيث أقدمت عدة بلدان عربية انطلاقاً من مصر إلى موريتانيا على حملة لصد المد الشيعي الذي يتم عبر معارض الكتاب بشكل خاص، بحيث كانت السلطات المصرية قد صادرت في 2014 ثلاث شحنات من الكتب الشيعية واردة من العراق في مطار القاهرة<sup>(45)</sup>، كما صادرت السلطات المصرية كتباً حول الفكر الشيعي من القيادي الشيعي أحمد راسم النفيس في أغسطس 2015<sup>(46)</sup>.

وأقدمت السلطات الجزائرية في 2018 على غلق الجناح الإيراني في معرض الجزائر الدولي للكتاب، والذي ضم حوالي 2000 عنوان، أغلبها شيعية وأخرى مسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم. وقررت إدارة المعرض الدولي للكتاب في 2018 مصادرة كل الكتب في الجناح الإيراني (حوالي 2000 عنوان) وطرد العاملين فيه<sup>(47)</sup>، وذلك بعد إقدام الجزائر خلال معرض 2016 على حجز مجموعة كتب شيعية مسيئة لأمهات المسلمين، وقبلها بعقد في عام 2007 كانت الجزائر قد أغلقت جناح دار الأمير اللبنانية لعرضها كتباً شيعية. وفي نفس السياق ومن ضمن جهود محاصرة المد الشيعي قامت السلطات الجزائرية بتوقيف 400 جزائري عائدين من العراق وإيران بعد مشاركتهم في طقوس عاشوراء في كربلاء بالعراق وإيران في نوفمبر 2017، على إثر العثور على منشورات تُشيد ببعض الرموز والقيادات السياسية الشيعية<sup>(48)</sup>.

وحتى وإنْ غابت إستراتيجية جزائرية واضحة المعالم، إلاَّ «أنَّ وتيرة مواجهة السلطات الجزائرية لمظاهر التشيع في البلاد تصاعدت، في ظل تحذير نشطاء من مساع إيرانية لنشر التشيع في الجزائر، والتي على إثرها أُنهِيَ عمل الملحق الثقافي في السفارة الإيرانية بالجزائر «أمير الموسوي»، بعد اتهامات له بنشر التشيع في بلد «المليون شهيد»<sup>(49)</sup>. وتصاعدت حملة لنشطاء سميت بـ «الحملة الجزائرية لطرد الملحق الثقافي

الإيراني» بسفارة بالجزائر، والتي بلغ عدد متابعيها على الفيس بوك أكثر من 12.140 ألف متابع، كتأكيدٍ شعبيٍّ لرفض النموذج الإيراني، وإعلانٍ بفشل إستراتيجيتها للقوة الناعمة، ووعياً بمخاطر الدور الإيراني، خاصة في ظل ما يتابعه الرأي العام العربي من تورط إيران وأدوارها في دعم حالة اللااستقرار في العراق وسوريا واليمن. وكانت السلطات المغربية قد بدأت حربها على التشيع بدايةً من عام 2009، في إطار قرارها قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران على خلفية ردِّ الفعل الإيراني على دعم المغرب للبحرين ضد تصريحاتٍ إيرانيةٍ اعتُبرت انتهاكاً للسيادة البحرينية ومهددةً لأمنها واستقرارها<sup>(50)</sup>. كتعبير عن رفض السياسات الإيرانية المتعلقة باستهداف الوحدة المذهبية المغربية.

ولم تشذ موريتانيا عن القاعدة فقد أبلغت «السلطات السفير الإيراني بأنها لم تُعدّ تقبل بأيّ نشاطٍ تقوم به السفارة أو جهات مرتبطة بها من أجل تغيير مذهب المجتمع الموريتاني أو عقيدته؛ وذلك بعد فترةٍ من مُصادرة أهم مركز للشيعة في البلاد، وهو «مجمع الإمام علي»، وتبهدت الحكومة الموريتانية سريعاً إلى خطورة المد الشيوعي على البلاد، فأغلقت مركزين تابعين للشيعة في العاصمة نواكشوط»<sup>(51)</sup>، وكان أحد المجمعين أقيم في مقاطعة دار النعيم بنواكشوط، وذلك مع بدايات إعلان بعض الموريتانيين تشييعهم، وتنظيم أنشطة داخل البلاد، وتنظيم رحلاتٍ إلى إيران. و«ذكرت وسائل إعلام موريتانية أنّ السلطات منعت مؤخراً جميع الأنشطة المؤيدة لـ«حزب الله»، حليف إيران في لبنان، الذي تم تصنيفه من طرف نواكشوط كمنظمة إرهابية»<sup>(52)</sup>.

إنّ تزامن قرارات السلطات الموريتانية مع قرار المغرب قطع علاقاته مع إيران، وقرار طرد الملحق الثقافي الإيراني في الجزائر، يكشف عن الانهيار شبه الكلي لمشروع القوة الناعمة الإيرانية في المنطقة المغاربية، الذي أرادته منفذاً لتسويق صورتها في مجتمعاتٍ لا تعاني من شحنات النزاعات الطائفية، وتكشف كذلك عن إدراك هذه الدول للمخاطر التي يحملها مشروع التشيع الذي تشرف عليه الممثلات الدبلوماسية في المغرب العربي، مثلما تشرف هذه الممثلات على نشاطاتٍ مشابهة في دول عربية في المشرق، وتتعداها إلى التواجد الفعلي بعدما حولت الأقليات الشيعية إلى ميليشياتٍ طائفية تنفذ أجنداث طهران في المنطقة.

## خلاصة

إنَّ أهم ما يمكن الإشارة إليه هو أنَّ إيران امتلكت من مقومات القوة الناعمة ما كان يؤهلها للعب أدوار فاعلة في المنطقة العربية، سواء على المستوى الجماهيري أو الرسمي، غير أنَّ إيران التي نظرت دوماً إلى جوارها العربي كحاجز أمام تمددها غرباً، الأمر الذي دفعها لخوض حروب لكسر هذا الحاجز، ولمَّ تختلف الأنظمة المتعاقبة في إيران في رؤيتها، وبالتالي كان سعيها للتمدد على حساب هذا الجوار أحد الثوابت في السياسات الإيرانية.

وأظهرت البيانات أنَّ استخدام القوة الصلبة التي مارستها إيران في جوارها، واستخدامها لبعض أدوات القوة اللينة قد أدى لنتائج عكسية، بحيث كانت للنزعة التدخلية سواء باستخدام القوة الصلبة في دول المشرق (التدخل في العراق وسوريا واليمن) إلى فقدان السياسة الخارجية الإيرانية لشرعيتها وسلطتها المعنوية والأخلاقية، والتي كانت السبب في التعاطف الذي لقيته إيران لدى الشعوب العربية غداة ثورة الخميني، وبالتالي سقوطها من معادلة القوة الناعمة الإيرانية.

كما كانت لمحاولات التأثير من خلال إحدى وسائل القوة الناعمة، التي رأت فيها إيران أداة مفضلة لاخترق المجتمعات العربية والمتمثلة في تصدير المذهب الشيعي إلى دول أخرى (حالات دول المغرب العربي)، كانت لها تداعيات سلبية خاصة مع بروز نزعة تدخلية إيرانية في دول المشرق استعملت فيها الأقليات الشيعية كميليشيات منفذة للمشروع الإيراني، فقد أدركت دول المغرب العربي خطورة تشكل تلك الأقليات في مجتمعاتها مما يمكنه أن يحولها إلى أدوات ابتزاز وتهديد للأمن المجتمعي في هذه الدول. وَمِنْ ثَمَّ أصبح تصدير المذهب الشيعي مصدر مخاوف وهو اجس عَوْض أن يكون مصدر إلهام وتماه مع القيم الإيرانية، وأداة من أدوات خدمة المصالح الإيرانية، وأصبح مصدر توتر بسبب تلك المخاوف التي عمقتها العديد من الأحداث، خاصة بعد التدخل الإيراني في سوريا واليمن، وبالتالي فما كان من شأنه أن يكون أداة من أدوات للتمدد الإيراني، صار مصدرًا على العكس لتآكل النفوذ الإيراني في المنطقة. والأهم أنَّ النزعة التدخلية الإيرانية في المنطقة قد رسخت انطباعات سلبية وربما عدائية لدى الرأي العام العربي، وبالتالي لم تُعد مصدر إلهام سواء بقيمها أو بنموذجها، بل تلاقى رفضاً في محيط استهدفته بقوتها الناعمة، إنَّ المجال الجيوسياسي الذي رأت فيه فرصتها للتمدد، قد أصبح مجالاً للمقاومة والرفض لا للتماهي والانجذاب، وبالتالي صار تمددها قاتلاً لطموح التوسع في جوارها.

## المراجع والمصادر

- (1) راي تقيه، إيران الخفية، (ترجمة: أيهم الصباغ). (الرياض: دار العبيكان، الطبعة الأولى، 2010)، ص 81.
- (2) للمزيد راجع: محمد بن صقر السلمي، الآخر العربي في الفكر الإيراني الحديث: دراسة في ضوء الاستشراق الإيراني، (الرياض: المعهد الدول للدراسات الإيرانية، 1439 هـ)، ص 218-220.
- (3) المرجع السابق، ص 81، 82.
- (4) علي حسين باكير، "اكتشاف القوة الناعمة الإيرانية.. القدرات وحدود التأثير"، موقع الجزيرة، (17 أبريل، 2013)، تاريخ الاطلاع: 10 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lim>
- (5) المرجع السابق.
- (6) مسلم عباس، "القوة الناعمة الإيرانية من تصدير الثورة إلى تصدير الدولة"، النبأ، (10 مايو 2016)، تاريخ الاطلاع: 10 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lin>
- (7) حسين باكير، مرجع سبق ذكره، ص 3.
- (8) وزارة الإرشاد الإسلامي، دستور جمهورية إيران الإسلامية، (ترجمة) لجنة مكلفة من طرف وزارة الإرشاد الإسلامي، (طهران: الطبعة الأولى 1403)، ص 97.
- (9) المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، إيران في أفق عام 2025، "سلسلة تقييم حالة"، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مايو 2016)، ص 4.
- (10) شريف عبد الحميد، "الطلاب الدارسون في إيران.. مخططات «النفوذ الناعم» لنشر التشيع عبر العالم"، الراصد، (22 يونيو 2017)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lio>
- (11) المرجع السابق.
- (12) هاشتاغ سوريا، اتفاق جديد لزيادة المنح الدراسية الإيرانية وتعديل على القبول في الدكتوراه، (8 مايو 2019)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lir>
- (13) كيو بوست، "هل يمكن مواجهة التمدد الشيعي دون فهم قوة إيران الناعمة؟"، مادة مترجمة عن معهد "ميدل إيست إنستيتيوت"، (21 يناير 2018)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lit>
- (14) محمد بن صقر السلمي، "جامعات إيرانية في الخليج"، مجلة المجلة (16 أكتوبر 2012)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lis>
- (15) "هل يمكن مواجهة التمدد الشيعي دون فهم قوة إيران الناعمة، مرجع سبق ذكره.
- (16) موقع الحرة، "جامعات إيرانية في دول عربية.. لماذا؟"، (18 يناير 2018)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/liu>
- (17) حسين باكير، المرجع السابق، ص 7.
- (18) إيمان زهران، "أزمات موسمية: تسييس الحج ونظريات التدويل للأماكن المقدسة"، المركز العربي للبحوث والدراسات، (20 سبتمبر 2016)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/liv>
- (19) حسين باكير، مرجع سبق ذكره، ص 8.
- (20) حسام الحداد، هند الضوي، فاطمة عبد الغني، "إيران وتصدير الصراعات المذهبية...دول المغرب العربي نموذجاً"، بوابة الحركات الإسلامية، (21 ديسمبر 2018)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/liw>
- (21) محمد بوبوش، "التشيع في الجزائر وجوده وردود الفعل ضده"، مركز المسبار للدراسات والبحوث، (6 مايو 2018)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lix>
- (22) جريدة البيان، "المغرب في مواجهة دائمة مع محاولات الاختراق الإيراني"، (دبي: مؤسسة دبي للإعلام، العدد 13646، 28 أكتوبر 2017)، ص 24.

- (23) حسام شاكر، "القوة الناعمة الإيرانية ومعضلاتها"، الخليج أونلاين، (14 مايو 2015)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/liz>
- (24) حسن الرشيدى، "الإستراتيجية الإيرانية.. عوامل القوة والضعف"، البيان، (20 سبتمبر 2019)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lj0>
- (25) غازي التوبة، "المرتكزات الديمغرافية والاجتماعية والثقافية في المشروع الإيراني"، المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، صباح الموسوي وآخرون (بيروت: دار الأمية ودار البشائر، ط 3، 2015)، ص 72.
- (26) الجزيرة نت، الجزيرة للدراسات يرصد موقف النخبة العربية من إيران، (18 يناير 2016)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lj1>
- (27) فراس إلياس، "الركائز الأساسية للدبلوماسية الشعبية الإيرانية"، مركز العراق الجديد، (28 نوفمبر 2018)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lj3>
- (28) الجزيرة نت، الجزيرة للدراسات يرصد ... مرجع سبق ذكره.
- (29) دويتشه فيله، أذرع إيران الثلاث للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط، (24 يوليو 2018)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lj4>
- (30) المرجع السابق.
- (31) محبوب الزويري، إيران الثورية والثورات العربية: ملاحظات بشأن السياسة الخارجية الإيرانية ومآلاتها، سلسلة تقييم حالة، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص 8.
- (32) حسين باكير، مرجع سبق ذكره، ص 13.
- (33) المرجع السابق.
- (34) حسن الرشيدى، مرجع سبق ذكره.
- (35) حسين باكير، مرجع سبق ذكره.
- (36) جيمس زغبى، "المواقف العربية تجاه إيران.. تغيرات جذرية"، موقع عربي 21، (30 نوفمبر 2014)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lj5>
- (37) المرجع السابق.
- (38) المرجع السابق.
- (39) ديفيد بولوك، "ردود الفعل العربية المتباينة على اتفاق الإطار النووي الإيراني"، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، (9 أبريل 2015)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lj6>
- (40) العربية نت، البصرة تنتفض.. حرق قنصلية إيران وإنزال العلم الإيراني، (8 سبتمبر 2018)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/ljf>
- (41) العين الإخبارية، سياسة "تحالف سائرون" يتصدر نتائج الانتخابات العراقية بعد إعادة الفرز، (10 أغسطس 2018)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/ljg>
- (42) الجزيرة للدراسات يرصد موقف النخبة العربية من إيران، مرجع سبق ذكره.
- (43) القمة العربية تدين التدخلات الإيرانية في المنطقة.. وسط اعتراض عراقي، الحياة، (31 مايو 2019)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lj7>
- (44) المرجع السابق.
- (45) الونام، "مصادرة شحنات كتب شيعية قادمة من العراق بمطار القاهرة"، (10 نوفمبر 2014)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lj8>
- (46) محمد عبيد، "مصادرة كتب شيعية من النفيس بالمطار حال عودته من إيران"، أخبار اليوم، (24 أغسطس 2015)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lj9>
- (47) يونس بورنان، رائد عبدالله، "إغلاق الجناح الإيراني في معرض الجزائر الدولي للكتاب بـ"الشمع الأحمر"، (31 أكتوبر 2018)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/lja>

- (48) سعيد قاسمي، "النزعة المذهبية في السياسة الخارجية الإيرانية وتداعياتها على الأمن القومي الجزائري"، مجلة *الدراسات الإيرانية*، (الرياض: المعهد الدولي للدراسات الإيرانية - رصانة، السنة الثانية، العدد 6، 2018)، ص 103.
- (49) علي رجب، «شيعية الجزائر».. فيروس يهدد وحدة بلد المليون شهيد.. والسلطات تصادر طردًا يحتوي على كتب شيعية بمطار سطيف.. ونشطاء يحذرون من محاولات طهران لنشر الفتنة، موقع البوابة نيوز، (19 نوفمبر 2019)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/ljc>
- (50) "في المغرب.. حرب ضد التشيع ومعارك على جبهات أخرى"، (31 مارس 2009)، تاريخ الاطلاع: 11 يوليو 2019. <http://ksa.pm/ljd>
- (51) عبد السلام الشامخ، "موريتانيا تحاصر مد "التشيع الإيراني" .. وخبير: توغلات مشبوهة"، موقع هسبريس، (1 يونيو 2018). <http://ksa.pm/lje>
- (52) المرجع السابق.